عين الشمس حتى يبقى العالم في ظلمة ما بلغت اجرة من يحلوها عشرة دراهم فحضر بشار باب محمد
بن سليمن فقال له الحاجب اصبر فقال الصبر لا يكون الا عن بلية فقال الحاجب اني اظن
وراء قولك هذا شرا ولن تعرض اليك فيه فادخل وقال هلال بن عطية لبشار وكان
صديقا يمازحه ان الله عز وجل لم يذهب بصر احد الا عوضه شيئا فما عوضك قال الطويل العريض
قال وما هو قال لا اراك ولا امثالك من الثقلاء ثم قال يا هلال تطيعني في نصيحة اخصك
بها قال نعم قال انك كنت تسرق الحمير زمانا ثم تبت وصرت رافضيا فعد الى سرقة الحمير
فهي والله خير لك من الرفض وكان هلال يستثقل وفيه يقول بشار

وكيف يخف لي بصري وسمعي ... وحولي عسكران من الثقال

اذا ما شئت صبحني هلال ... واي الناس اثقل من هلال

وقد قيل ان الذي خاطب بشارا بهذه المخاطبة هو ابن شبابة قال ابن شبابة لو نكح الاسد ما
افترس قال وكان يتهم بالابنة وقالت امراة لبشار ما ادري لم يهابك الناس مع قبح
وجهك فقال بشار ليس من قبحه يهاب الاسد وقال محمود الوراق اتينا بشارا فاذن لنا
فدخلنا والمائدة موضوعة بين يديه فلم يدعنا الى طعامه فلما اكل دعا بطست فكشف عن سوءته
ثم بال ثم حضرت الظهر والعصر والمغرب فلم يصل فدنونا منه وقلنا له انت استاذنا وقد رأينا
منك اشياء نكرهها قال وما هي قلنا دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا فقال انما اذنت
لكم لتاكلوا ولو لم ارد ذلك لما اذنت لكم قال ثم ماذا قلنا دعوت بالطست ونحن حضور
فبلت ونحن نراك فقال انا مكفوف وانتم بصراء وانتم المامورون بغض الابصار دوني
قال ثم ماذا قلنا حضرت الظهر والعصر والمغرب فلم تصل قال ان الذي يقبلها مفرقة
يقبلها جملة وقال ابو ايوب الجرمي قعد الى جنب بشار رجل فاستثقله فضرط ضرطة فظن
الرجل انها فلتت ثم ضرط اخرى فقال افلتت ثم ضرط ثالثة فقال يا ابا معاذ ما هذا فقال مه
ارايت ام سمعت قال بل سمعت قال فلا تصدق حتى ترى وقيل ان امراة قالت لبشار اي رجل
انت لو كنت اسود الراس واللحية فقال بشار اما علمتي ان بيض البزاة اثمن من سود الغراب
ان قالت اما قولك فحسن في السمع ومن لك بان يحسن في العين كما حسن في السمع فكان
بشار يقول ما افحمني الا هذه المراة وقال بعض الشعراء اتيت بشارا وبين يديه مائتا
دينار فقال لي خذ منها ما شئت او تدري ما سببها قلت لا قال جاءني فتى فقال لي انت
بشار قلت نعم فقال لي كنت اليت ان ادفع اليك مائتي دينار وذلك اني عشقت امراة
وجئت اليها وكلمتها فلم تلتفت لي فهممت بان اتركها ثم ذكرت قولك

لا يويسنك من مخباة ... قول تغلظه وان جرحا

عسر النساء الى مياسرة ... والصعب يمكن بعدما جمحا

فعدت اليها ولازمتها فلم ابرح حتى بلغت حاجتي ولما بلغ المهدي هذه الابيات استدعاه
فلما قدم عليه استنشده فانشده اياها وكان المهدي غيورا فقال تلك امك يا عاض كذا وكذا
من امه اتحض الناس على الفجور وتقذف المحصنات المخبات والله لئن قلت بعد هذا بيتا
واحدا في تشبيب لاتين على نفسك ولم يخط بشيء منه فهجاه في قصيدة فقال

خليفة

٤٧

خليفة يزني بعماته ... يلعب بالدبوق والصولجان

ابدلنا الله به غيره ... ودس موسى في حر الخيزران

وانشدها في حلقة يونس النحوي فسعي به الى يعقوب بن داود وكان بشار قد هجاه
فقال

بني امية هبوا طال نومكم ... ان الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الناي والعود

فدخل يعقوب على المهدي فقال يا امير المومنين ان هذا الاعمى الملحد الزنديق قد هجاك فقال
باي شيء قال بما لا ينطق لساني ولا يتوهمه فكري قال بحياتي انشدني اياه فقال والله لو
خيرتني بين انشادي وضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي فحلف عليه المهدي بالايمان المغلظة التي لا فسحة له
فيها ان يخبره قال اما لفظا فلا ولكني اكتب ذلك فكتبه ودفعه فكاد ينشق غيظا وعمل
على الانحدار الى البصرة للنظر في امرها وما وكده غير بشار فانحدر فلما بلغ البطيحة سمع
اذانا في الضحى النهار فقال انظروا ما هذا الاذان فاذا بشار سكران فقال له يا زنديق
يا عاض بظر امه عجبت ان يكون هذا غيرك اتلهو بالاذان في غير وقت الصلاة وانت سكران
ثم دعا بابن نهيك وامره بضربه فضربه بين يديه على صدر الحراقة سبعين سوطا اتلفه
فيها فكان اذا اصابه السوط يقول حس حس وهي كلمة تقولها العرب للشيء اذا اوجع فقال
بعضهم انظروا الى زندقته يا امير المومنين يقول حس ولا يقول بسم الله فقال ويلك اطعام
هو فاسمي عليه قال له آخر افلا قلت الحمد لله قال او هي نعمة فاحمد الله عليها انما هي بلية
استرجع منها فلما ضربه سبعين سوطا بان الموت فيه فالقي في سفينة فقال ليت عين
ابي الشمقمق تراني حيث يقول ان بشار بن برد تيس اعمى في سفينة فلما مات القيت
جثته في البطيحة في موضع يعرف بالجرار فحمله الماء فاخرجه الى دجلة فجاء بعض اهله فحملوه
الى البصرة لدفنه قال النوفلي فاخرجت جنازته فما تبعه احد الا امة سوداء سندية عجماء اتبعتها
خلف جنازته تصيح واسيداه ما تفصح ولما نعي لاهل البصرة تباشر عامتهم وهنا بعضهم
بعضا وحمدوا الله وتصدقوا لما كانوا يلقونه من لسانه وقيل كان سبب قتل بشار انه
هجا صالح بن داود وفضحه بما تقدم وكانت ولايته وقد تناهوا لما ولي اخوه يعقوب بن داود
وزير المهدي البصرة قال فهجوه

هموا حملوا فوق المنابر صالحا ... اخاك فضجت من اخيك المنابر

فبلغ ذلك يعقوب بن داود ودس فيه بما تقدم وكانت وفاته وقد ناهز التسعين سنة
وذلك في سنة سبع وقيل ثمان وستين ومائة رحمه الله تعالى ويروى ان كتبه فتشت
فلم يصب فيها شيء مما كان يرمى به واصيب فيه كتاب مضمونه اني اردت هجاء آل سليمن بن
علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي رضي الله عنه فذكرت قرابتهم من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فامسكت عنهم والله اعلم بحاله وقال محمد بن الحجاج كان بشار
فاتاه رجل فسأله عن رجل ذكره له فجعل بشار يفهمه ولا يفهم فاخذ بيده يقوده الى منزل
الرجل وهو يقول

اعمى يقود بصيرا لا ابا لكم ... قد ضل من كانت العميان تهديه

حتى صار الاعمى الى منزل الرجل ثم قال له هذا منزله يا اعمى ولما سمع بشار قول العباس بن الاحنف

Copyright © King Saud University